جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

الأساليب الجمالية في المنهج القرآني
بين النظرية والتطبيق

الباحثان

الأستاذ الدكتور
راشد سعد العليمي
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية كلية التربية الأساسية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

الأستاذ الدكتور
جاسم عبد القادر بن جمعه
أستاذ بقسم التربية الفنية كلية التربية الأساسية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

الأساليب الجمالية في المنهج القرآني
بين النظرية والتطبيق

راشد سعد العليمي
قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، دولة الكويت.
البريد الالكتروني: rs.alolaimi@paaet.edu.kw

ملخص البحث:

تناول البحث الموسوم بعنوان: "الأساليب الجمالية في المنهج القرآني، بين النظرية والتطبيق"، للنظر في الجوانب المتعلقة بالجمال في حياة الإنسان، وخصوصا في الجوانب المرتبطة بالنظرة الشرعية، لأنه من الأهمية بمكان دراسته معالجة مشكلة يتوهم بعض الناس وجودها حيث يعتقدون ان الشرع الحكيم خالي من الجماليات التي تزين حياة البشر وإنه فقط للأمور الدينية من صلاة وزكاة وغيرها.

وبين أن أثر جماليات القرآن في الحياة بشكل عام، ثم أثره على حياة الرسول (ﷺ) في كل أمور حياته العامة والخاصة، وأيضا أثرة على حياة المسلمين في معاشهم وجميع شئون حياتهم، من خلال النظر إلى تفسير الآيات القرآنية من تفسير الإمام القرطبي (رحمه الله) في كتابه (الجامع لأحكام القرآن)، لتميزه في النظر االشامل في التفسير من جوانب متعددة لآيات الله، مع عميق استدلالاته الأصولية الشرعية.

الكلمات المفتاحية: الأساليب، الجمالية، المنهج القرآني، النظرية، التطبيق.

Aesthetic Methods in the Islamic Approach Between Theory and Practice

Rashid Saad Al-Alimi
Department Of Islamic Studies, College Of Basic Education, Public Authority For Applied Education And Training, The State Of Kuwait.
Email: rs.alolaimi@paaet.edu.kw

Abstract:

The research tagged with the title Aesthetic Methods in the Qur'anic Approach dealt with theory and practice to look at the aspects related to beauty in human life, especially in the aspects related to the legal view because it is important to study it to address a problem some people imagine its existence as they believe that the wise Sharia is free from the aesthetics that adorn human life and it is only for religious matters such as prayer, zakat and others.

And he explained that the impact of the aesthetics of the Qur'an on life in general, then its impact on the life of the Prophet in all matters of his public and private life, as well as its impact on the lives of Muslims in their livelihood and all their life affairs by looking at the interpretation of Quranic verses from the interpretation of Sheikh ALqurtobi, may God have mercy on him, in his book (aljamia lahkam al-Quan) for his distinction in the educational view of the interpretation of the verses of God with the depth of his legal fundamentalist inferences.

Keywords: Methods, Aesthetic, The Qur'anic Approach, Theory, Application.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى أله وصحبه والتابعين، أما بعد.

مقدمة البحث

جعل العلماء الجمال ثالث ثلاثة من القيم التي شغلت الفكر البشري منذ بدأت المسيرة الإنسانية على ظهر الأرض لتحقيق الرسالة التي من أجلها خلق الله الإنسان، وهي العبودية الخالصة له وحده سبحانه، وهذه القيم الثلاثة هي: الحق، والخير، والجمال.

وتناول الفكر الإنساني لها سابقا بصورة عزلتها عن الدين الحقّ منذ فجر الفلسفة اليونانية حتى عصرنا الحاضر كان مثيراً، ومضرباً للتناقض، وبالتناول الهزيل علميا، فتحوّلت هذه القيم مع ذلك التناول إلى قضايا نسبية غامضة، وهذا شأنُ الفكر الإنساني عندما ينأى عن نور وهداية الدين الحقّ، نجده يتخبّط في غياهب الوهم، ويضلّ بوادي الظنون.

ومن النظر في الجمال يمكن القول إن له جانبان في وجوده: حسّي ومعنوي، وقد أخفق الفكر الإنساني تماماً في وضع مقاييس ثابتة لكليهما ليتم ضبط المعايير فيهما واقعيا، "فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال، فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائما، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر، وأما جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة، وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد، وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف

الشر عنهم"[1]، والقرآن الحكيم تناول هذه القيمة تناولاً محكماً، سديداً راشداً، جعلها تسهم في سموّ المجتمع البشري، ودفعها إلى أن تكون معينة لتحقيق رسالته الكريمة، حيث نلاحظ أن لفظ "جميل"، و "جمال" ورد في ثماني آيات من القرآن الكريم، منها موضع واحد عن الجمال الحسّي، وتحدَّث في المواضع السبعة الباقية عن الجمال المعنوي والخُلُقي.

- **مشكلة البحث**

البحث يتطرق إلى الاهتمام بجماليات القرآن الكريم وأثرها على النفس البشرية عموما، وعلى نبينا (ﷺ) خصوصا، وذلك لأن كثيرا من الناس قد يكون لهم فهم خاطئ عن هذا القرآن الكريم، حيث يعتقدون أن اهتمامه ينصب ويتوجه إلى الأمور العقائدية والتشريعية وغيرهما، ولم يتوجه النظر للاهتمام بالجماليات حولنا التي لها أثر كبير على تأطير الفكر البشري لتأصيل الإيمان، وإشراقة الفكر إلى كل خير حولها، وهذا ما سيكون الحديث عنه في هذا البحث، حيث سيتم التركيز على هذه الناحية المهمة الواردة في كتاب ربنا سبحانه وسنة نبينا (ﷺ)، والتي لم يدركها طائفة من الناس عند تلاوتهم ودراستهم على هذا الكتاب الكريم ودراسة السنة النبوية.

- **أهمية البحث:**

١- تبيان أن الشريعة الإسلامية تمتلك الحس الجمالي في تعاملاتها مع البشر من خلال تعاليم ديننا الحنيف ووجودها في القرآن الكريم.

٢- المنهج القرآني يوضح ويرشد إلى استعمال النظرة الجمالية في خلق الله سبحانه.

٣- المنهج النبوي يؤكد على القيمة الجمالية الموجودة في القرآن الكريم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/٧٠- ٧١).

- **أهداف البحث:**

١. تبيان ان الشريعة الإسلامية تمتلك القدرة بالتعامل مع الحس الجمالي.
٢. شرح المنهج القرآني الفكرة الجمالية.
٣. توضيح أثر جماليات القرآن الكريم على حياة المسلمين وطرق تعاملهم بأسلوب جمالي فريد في نوعه.
٤. ونروم في هذا البحث إلى تسليط النظر والفكر إلى اهتمام القرآن بالأساليب الجمالية، بغية أن يتعرف عليها جميع المسلمين، في جوانب محددة.
٥. هذه الدراسة ليست بصدد الحديث عن البلاغة الجمالية فيه، وإنما سيكون توجه البحث عن الأساليب الجمالية التي وردت في كتاب الله سبحانه؛ تبيانا لجماليات ما خلقه الله، وأتقن صنعها سبحانه.
٦. بيان أثر هذا القرآن الكريم بجمالياته على رسولنا الكريم (ﷺ)، وأثرها على دعوته الكريمة.

- **حدود البحث:**

١. الاقتصار على الآيات التي تبين الجمال في القرآن الكريم.
٢. تحديد الاستدلال في التفسير على ما ورد في تفسير الإمام القرطبي: "الجامع لأحكام القرآن"، لما تميز به من نظرات رائعة في شتى صنوف التفسير، لعلها فاقت أقرانه في عصره، وبمن جاء من بعده، مع النظر أحيانا لتفاسير أخرى.
٣. بيان أثر القرآن وجمالياته على حياة الرسول (ﷺ).
٤. الحديث عن أثر جماليات القرآن على المسلمين.

- **منهجية البحث:**

تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي من جهة الجمع للآيات التي إشارة الى الجمال مع الاستعانة بالمنهج التحليلي لضبط بعض ميادين الجمال الواردة في

القرآن الكريم وفق الأسس العلمية الحديثة التي للتصور الجمالي، للخروج بالنتائج المستفادة من الآيات القرآنية التي تم النظر إليها.

- **الدراسات المرتبطة:**

الدراسة الأولى: دراسة وحيد حروز "الذوق الجمالي في القرآن الكريم"، واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي لضبط بعض المفاهيم الجمالية المستوحاة من هذه الآيات القرآنية، وتوضح الدراسة النظرة إلى مفهوم الجمالية في الإسلام، وحاولت الدراسة ان تفك الاشتباه الحاصل بين مصطلح الجمال وبين مصطلح علم الجمال.(١)، وتختلف هذه الدراسة عنها حيث اعتمدت على النظرة التفسيرية لبيان الاهتمام بالجال في جوانب شتى في القرآن.

الدراسة الثانية لـــ عيد سعد يونس "التصوير الجمالي في القرآن الكريم"، تناولت هذه الدراسة مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي وهذا عند فلاسفة الإسلام وعند النقاد اللغويين القدماء ودعوة القرآن الكريم إلى التأمل الجمالي بذكر نماذج من التصوير الجمالي في القرآن ولان الباحث أستاذ في النقد الفني فقد تناول الموضوع من زاوية الجانب الفني في الكلمة والقصة والمسرحية وفي الشعر والموسيقى(٢)، وهذا يظهر الاختلاف بينه وبين هذه الدراسة.

الدراسة الثالثة لـــ رباب كامل فرحان "التربية الجمالية رؤية إسلامية"، هذه الدراسة في الأصل تهتم في مفاهيم الجمال ومدى اهتمام الإسلام بها، وتكلمت عن ميادين الجمال في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الفكر الإسلامي.(٣)، أما هذه الدراسة فكانت متوجهة بتركيز على كلام المفسر القرطبي.

---

(١) وحيد حروز، الذوق الجمالي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية ٢٠١٢-٢٠١٣م، الجزائر.

(٢) عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن، عالم الكتب، ط١ ٢٠٠٦ القاهرة.

(٣) رباب كامل فرحان، التربية الجمالية رؤية إسلامية، دار النفائس، ط١ الأردن ٢٠٠٨م.

الدراسة الرابعة لـــ يادكار لطيف الشهرزوري "جماليات التلقي في السرد القرآني"، تهتم هذه الدراسة في الكشف عن جماليات السرد القرآني والغور في بنائه العميق، وبيان الأهمية في قيام الدراسة بربط الماضي بالحاضر من خلال الجمع بين جهود القدماء والمحدثين إظهارا لعظمة النص وتشكيلاً جماليا وتحقيقاً لمقاصد الإيمان في التوحيد والتوجيه وبناء الإنسان.(١)، وهذا الدراسة فيها التناول لكلام المفسرين فقط.

خطة البحث:

من بعد المقدمة السابقة، وذكر ما يتعلق بمنهجية البحث، جاءت خطة البحث وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريفات متعلقة بعنوان البحث

المطلب الأول: تعريف مصطلح الجمال.

المطلب الثاني: ما يتعلق بتعريف مصطلح الذوق.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام القرطبي (رحمه الله).

المطلب الأول: نسَبه ونشأته.

المطلب الثاني: من أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه.

المطلب الثالث: رحلاته.

المطلب الرابع: من شيوخه.

المطلب الخامس: آثاره العلمية.

المطلب السادس: وفاته (رحمه الله).

(١) يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠م.

المبحث الثالث: الدعوة للتفكر بجمال المخلوقات.

المبحث الرابع: القرآن والدعوة للسلوكيات الجميلة.

المبحث الخامس: الاهتمام بالجمال في الجنة في القرآن.

المبحث السادس: أثر جماليات القرآن على حياة الرسول (ﷺ).

المبحث السابع: أثر جماليات القرآن على المسلمين.

المبحث الأول
تعريفات متعلقة بعنوان البحث

استعمل القرآن الكريم الكثير من الألفاظ للتعبير عن مصطلحات الجمال والذوق، منها الجمال والحسن والبهجة والزينة، كما استعمل ألفاظاً أخرى للتعبير عن آثار الجمال: منها السرور والعجب ولذة العين، ولكن المرجع في هذا الموضوع يؤول إلى كلمتين رئيسيتين هما: الجمال والحسن، وسنقف عند تعريف الجمال لغة واصطلاحا، ثم نذكر الفرق بينه وبين الحسن.

المطلب الأول
تعريف مصطلح الجمال

أولا: تعريف الجمال لغة:

جاء في لسان العرب: "الجمال مصدر الجميل، والفعل جمل، ومنه قوله (ﷻ): ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [سورة النحل: ٦][1]، حيث أوضح الإمام القرطبي عن موضع الجمال في هذ الحيوانات، فقال: "أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك."[2]

ومن معاني الجمال البهاء والحسن، والجمال الحسن يكون في الفعل والخَلق، وقد جمُل الرجل بالضم جمالاً فهو جميل وجمال، وامرأة جملاء وجميلة)[3]،

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (١٢٦/١١)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٥٩٩–٦٠٠، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (١٤٢/٦)، د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الأزهري، محمد بن أحمد، كتاب تهذيب اللغة=

وفي المعجم الوسيط: جمله بمعنى حسنه وزينه، ويقال في الدعاء: جّمل الله عليك: جعلك جميلاً حسناً".[1]، ونلحظ أن مصطلح (الحُسن) له تعلق واضح بالجمال، ففيه الدلالة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس، ويوضح صاحب الفروق الاختلاف بين الحُسن والجمال أن الحُسن في الأصل للصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصور.[2]

ونلاحظ من خلال هذه التعاريف اللغوية، أن لفظ الجمال يطلق ويراد به معنيان، ظاهري متعلق بالأفعال والأخلاق، أي أنه يشمل جمال الخَلق والخُلق، وهذا ما قرره القرطبي وورد في تفسيره للآية السابقة: "أي: في وقت راحتها وسكونها ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك".[3]

ثانيا: تعريف الجمال اصطلاحا:

مما لا شك فيه أنه من السهل أن نصف شيئاً ما، أو سلوكاً ما بالجمال، أو نحس به، ولكن من الصعب أن تُعرف به، ولهذا ذهب بعض العلماء أنه لا

=(٧٦/١١)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (١٢٦/١١)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ..

(١) المعجم الوسيط، (١٣٦/١)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

(٢) العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق (٢٦٢/١)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٣) القرطبي (٧٠/١٠).

يمكن أن نجد تعريفاً محددا للجمال، وذلك لنسبيته، ولاختلاف المواقف له، وتنوع درجات الإحساس والشعور به، وبمقدار ميل كل إنسان إلى سمه جمالية معينة يؤدي ذلك إلى إصدار حكم جمالي خاص به، ولا يمكن التقرير إلى أنه سيجد الإنسان نفسه "في مجال البحث الجمالي أمام ظاهرة تستعصي على التعريف ما دمنا في مجال الوجدان والشعور، لا في مجال العقل والقضايا المنطقية"، ويرجع صالح الشامي "السبب الرئيسي في صعوبة التعريف إلى ان الجمال معنى من المعاني لا يقوم نفسه، بل يقوم بغيره، وهكذا اختلاف الأفراد في تقديرهم للجمال وفي درجة تذوقهم له".(١)

ولقد حاول أبو حامد الغزالي أن يضع تعريفا منضبطا للجمال، فقال وهو يتحدث عن معنى الحُسن والجمال: "كل شيء فجماله وحُسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذ كانت جميع كمالاته الممكنة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضا فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، فالفرس الحسن: هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو، وتيسر كرّ وفرّ عليه، والخطُ الحسن: كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحُسن انتظامها، ولكل شيء كمال يليق به... فحُسن كل شيء في كماله الذي يليق به)(٢)، ونلاحظ أن الغزالي بقوله هذا قد ذكر ما لابد منه للشيء حتى يكون جميلا، وهذا الذي توصل إليه يكاد أن يكون تعريفا، وإن لم يجزم هو بذلك.

ولقد حاول غيره أن يضع تعريفا للجمال، فعرفه بأنه: "الإحساس الذي يبدو عندما يبلغ الشيء قدراً من الإتقان والكمال"، وعرفه بعضهم بأنه: "إدراك

(١) صالح الشامي – التربية الجمالية في الإسلام – المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، دمشق.
(٢) أبو حامد الغزالي – احياء علوم الدين – دار المعرفة – بيروت ٢٩٩/٤.

العلاقات المريحة التي الإنسان في شتى العناصر"، وهذا تعريف بأهم أجزاء الشيء الذي يراد معرفته، فهو يشير إلى التناسق الذي يعتبر من أهم خصائص الشيء الجميل، ومن التعريفات المعاصرة لقيمة الجمال أنه: "القيمة الموجودة في الصور والمعاني المبثوثة في الكون، التي يدركها العقل، وتستشعرها النفس، ويستجيب لها السلوك بشكل إيجابي، لما يترتب على إدراكها من متعة ورضا".

وقد دعت بعد هذا التعريف إلى ضرورة التمييز بين الجمال بوصفه قيمة موجودة عن الإحساس به، ومن ذلك ما ذكره "على الجرجاني" بقوله: "الجمال بما يتركه من شعور في النفس، وهو ما يتعلق بالرضا والغضب".[1]

(١) على الجرجاني – التعريفات – الدار التونسية، ص ٢٤ سنة ١٩٧١م، تونس.

المطلب الثاني
ما يتعلق بتعريف مصطلح الذوق

أولا: التعريف اللغوي

وردت كلمة "الذوق في معاجم اللغة هي الحاسة التي تميز بها الخواص الطعمة للمواد بواسطة الفم، جاء في لسان العرب: "الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً وذواقا ومذاقا، فالذواق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعماً كما تقول: ذواقة ومذاقه طيب، والمذاق طعم الشيء، والذواق: هو المأكول والمشروب"[١]، ومن المجاز أن يُستعمل الذوق فيما يتعلق بالأجسام من المعاني، "وحقيقة الذوق إنما هي في حاسة اللسان، وهي في هذا كله مستعارة ".[٢]

وورد في المعجم الوسيط التعريف لمصطلح "الذوق": "ذاق الطعام ذوقا وذواقا ومذاقا: اختبر طعمه، ويقال: ما ذقت نوماً، أذاق فلان كذا: جعله يذوقه، ويقال أذاقه الله الخوف وغيره: أنزله به، وتذوق الطعام ذاقه مرة بعد مرة، ويقال تذوق طعم فراقه، ودعني أذوق طعم فراقه".[٣]

ثانيا: الذوق اصطلاحا

الذوق في معاجم اللغة هي الحاسة التي تميز بها الخواص الطعمة للمواد بواسطة الفم، جاء في لسان العرب: "الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً وذواقا ومذاقا، فالذواق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعماً كما تقول: ذواقة ومذاقه طيب، والمذاق طعم الشيء، والذواق: هو المأكول والمشروب"[٤]، ومن المجاز أن يُستعمل الذوق فيما يتعلق بالأجسام من المعاني، "وحقيقة الذوق إنما هي في حاسة اللسان، وهي في هذا كله مستعارة ".[٥]

---

(١) لسان العرب (١١١/١٠).

(٢) تفسير القرطبي (٣١٧/٦).

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ص ٣١٨، مصر.

(٤) لسان العرب (١١١/١٠).

(٥) تفسير القرطبي (٣١٧/٦).

وفي المعجم الوسيط: "الحاسة الَّتِي تميز بهَا خَواص الْأَجْسَام الطعمية بوساطة الجهاز الْحسي فِي الْفَم ومركزه اللِّسَان و (فِي الْأَدَب والفن) حاسة معنوية يصدر عَنْهَا انبساط النَّفس أَو انقباضها لَدَى النّظر فِي أثر من آثَار العاطفة أَو الْفِكر وَيُقَال هُوَ حسن الذَّوْق للشعر فهامة لَهُ خَبِير بنقده ".[1]

ولكن الذوق الذي نريده هو تلك الهبة الطبيعية الكامنة في نفوسنا والتي تدفعنا إلى تذوق الجمال بمعناه العام، من أنها الاستعداد الفطري المكتسب الذي نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا، فهو إذن أوسع وأشمل نطاقا من أن يحصر في الفن، وبهذه النظرة: (تستطيع أن تصل بكلمة الذوق إلى معنى أشمل وأوسع نطاقا عندما تتصور الذوق على أنه ليس فقط الاستجابة الجمالية للعمل الفني أو للعلاقات الجمالية الموجودة في الطبيعة، ولكن على أن يتعدى ذلك لتشمل هذه الاستجابة كل نواحي الحياة وكل ما تمر به في حياتنا من خبرات ومواقف، وعندما يصبح الجمال سلوكا عاما، وسمه غاليه تصبغ كل تصرفاتنا بصبغتها)، فالتصوير الفتي الذي هو أحد أهم مجالات الجمال القرآني (لا يجدي في تذوقه إلا الذوق، وطول الممارسة الأدبية، والعناية بإبراز خصائصه الجمالية، بالنظر العميق، والشعور الرقيق).[2]

---

(١) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وغيره، الناشر دار الدعوة.

(٢) المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني، فتحي عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م، ص ١٩.

المبحث الثاني
التعريف بالإمام القرطبي (رحمه الله)

المطلب الأول
نسَبه ونشأته

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح –بإسكان الراء والحاء المهملة الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي[١]، ولم تُشِر المصادر التي ترجَمت له إلى سنة ولادته، وقد رجَّح بشير عيون – محقق كتاب (التذكار في أفضل الأذكار)[٢] للقرطبي – أنه ولد في أواخر القرن السادس الهجري تقريبًا، وذكرت الموسوعة العربية أنه ولد سنة ٦٠٠هـ).[٣]

نشأ (رحمه الله) في قرطبة بالأندلس، في عصر الموحِّدين[٤]، ثم انتقل منها إلى مصر، واستقرَّ بها حتى وافته المنيَّة، ومعلوم أن الأندلس، وبخاصة قرطبة من أفقها أنشئت التأليفات الرائعة، وصنِّفت التصنيفات الفائقة...)[٥]، ولعل الإمام

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ لابن فرحون (ص: ٤٠٧)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ للمقري٢/٢١٠، شذرات الذهب؛ لابن العماد ٥/٣٣٥، الوافي بالوفَيَات؛ للصفدي ٢/٨٧، طبقات المفسرين؛ للسيوطي (ص: ٧٩)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية؛ لمحمد مخلوف (ص: ١٩٧)، الأعلام؛ للزركلي ٦/٢١٧، معجم المؤلفين؛ لعمر رضا كحالة ٣/٥٢.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار؛ للقرطبي (ص: ٦٩) تحقيق: بشير عيون.

(٣) الموسوعة العربية العالمية ١٨/١٦٣.

(٤) **الموحدون:** قامت دولة الموحدين بالمغرب على يد محمد بن تومرت ٥٢٤هـ، وقد ورثَت هذه الدولةُ دولةَ المرابطين في المغرب والأندلس، واستطاع عبد المؤمن بن علي أن يحقق أهداف زعيمه ابن تومرت؛ حيث أسقط دولة المرابطين واحتل عاصمتهم مراكش سنة٥٤١هـ.

(٥) فح الطيب؛ للمقري ٢/١٠.

القرطبي (رحمه الله) كان من أولئك الذين اتَّسموا بجودة في الفهم، وقوة في النشاط الذهني؛ إذ إن ما حصَّله من معارف مختلفة – ظهر أثرها في تفسيره – يوحي بذلك، ويومئ إلى أنه لا بد أن يكون قد بدأ في تلقِّيها منذ الصِّغَر.(١)

المطلب الثاني
من أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه

قال عنه الإمام الذهبي: "إمام متقن، متبحِّرٌ في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله".(٢)

وقال عنه ابن فرحون: "كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف".(٣)

المطلب الثالث
رحلاته العلمية

أولا: رحلاته: من الجدير بالذكر تذكر بأن الروايات التاريخية عن هذه المرحلة لم تشر لا من قريب ولا من بعيد لتاريخ رحيل الإمام القرطبي من الأندلس وتاريخ قدومه إلى مصر، ولكنها بالتأكيد أنها كانت في عهد الأيوبيين والمماليك – وهو العهد الذي وفد فيه القرطبي إلى مصر، حيث كانت محطًّا لكثير من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم وأجناسهم؛ إذ وجدوا فيها أمنًا فقدوه في ديارهم.

(١) القرطبي المفسِّر؛ يوسف عبد الرحمن الفرت (ص: ٣٦).
(٢) طبقات المفسرين؛ للسيوطي (ص: ٧٩)، الوافي بالوفيات؛ للصفدي ٨٧/٢.
(٣) الديباج المذهب (ص: ٤٠٧)، نفح الطيب؛ للمقري ٢١٠/٢.

المطلب الرابع
من شيوخه

تميز الإمام القرطبي (رحمه الله) بتلقى تعليمه الأول في بلده بالأندلس، ثم بعد ذلك انتقل إلى مصر ليكمل مشواره العلمي، ومن أولئك العلماء الذين تتلمذ على يديهم: منهم أبو جعفر ابن أبي حجة[١]، وقد تلقى القرطبي على يد هذا الشيخ القراءات السبع، وهناك ابن أُبيٍّ ربيع بن أحمد بن ربيع الأشوي، والقاضي أبو الحسن علي بن قطرال.[٢]

ومن شيوخه المصريون: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، وكان من أعيان فقهاء المالكية[٣]، وهناك الشيخ أبو محمد عبدالوهاب بن رواج الإسكندراني المالكي، وكان فقيهًا ومحدِّثًا، قال عنه السيوطي: (أخذ عنه كثير من طلاب العلم، كان من بينهم أبو عبدالله القرطبي).[٤]

---

(١) الأعلام؛ للزركلي (١/٢١٠).

(٢) شذرات الذهب؛ لابن العماد ٥/٢٥٤.

(٣) شذرات الذهب ٥/٢٤٦، الأعلام للزركلي ١٣/٢٨٤.

(٤) طبقات المفسرين (ص: ٣٩).

المطلب الخامس
آثاره العلمية

لقد ترك لنا القرطبي (رحمه الله) عددًا من المصنَّفات المفيدة التي تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه، من أشهرها: كتاب (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان): وهو كتاب التفسير المعروف، والذي أصبح ذكره لصيقًا بذكر الإمام القرطبي؛ ويعد من أعظم كتب التفسير، قال عنه ابن فرحون: (جمع في تفسير القرآن كتابًا كبيرًا في اثني عشر مجلدًا، سماه: "كتاب جامع أحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن"، وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات، والإعراب، والناسخ والمنسوخ).[1]

المطلب السادس
وفاته (رحمه الله)

بعد أن قضى الإمام القرطبي عمره بين تعلم وعبادة وتصنيف، جاءته سكرة الموت وهو بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر، وذلك يوم الاثنين من شهر شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة (٦٧١هـ)، ودفن هناك – رحمة الله عليه.

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (ص: ٤٠٧).

المبحث الثالث
الدعوة للتفكر بجمال المخلوقات

الناظر في كتاب الله ربنا (ﷻ) يجده حافلا بتوجيه النظر إلى هذه القيمة الدالة على نفس راقية بالتمتع بما خلقه وأبدعه ربنا سبحانه فيها من جماليات ظاهرة، مع تنوع جمال البيان في الآيات، ومن تلك الأمور:

أولا: النظر في جمال الحيوانات: ومن ذلك ما ورد الحديث فيه عن الأنعام وما فيها من جمال وغاية خلق، عند قوله (ﷻ):﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ ﴾ [سورة النحل: ٦] فيلحظ القارئ لهذه الآية أن هناك التوجيه لتذكر جماليات متنوعة في هذه البهائم، فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الافعال"[(١)]، وهذه الآية تقدم صورة للجمال عندما تحس النفس الإنسانية فيملأ جوانبها سعادة ومسرُة، والجميل في الآية أنها تقدم الرواح على السروح، مع أن الواقع عكس ذلك؛ وكان هذا لأن الإحساس بالجمال والمتعة بالأنعام عندما تعود من المرعى ممتلئة شبعى أكثر من الإحساس بها وهي ذاهبة غرثى، وهذه هي الآية الوحيدة التي تتحدث عن الجمال الحسُي بلفظ الجمال الصريح، وهناك آيات أخرى تتحدث عن الجمال في الكون بغير لفظة.

ثانيا: النظر في بديع خلق الإنسان: من ذلك حديث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، إذ قال تعالى بعد أن وصف مراحل الخلق التي مر بها الإنسان: قوله (ﷻ):﴿ ... ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤]، أي فبعد نفخ الروح فيه، فانتقل من كونه جماد إلى أن صار

(١) تفسير القرطبي (٧٠/١٠).

حيوان، وفيه الدلالة على أنه سبحانه أتقن الصانعين."[1]، ولا شك في أن مخلوقاً لأحسن الخالقين سيكون على أرفع مستوى من الجمال والإتقان.

وهناك آيات أُخرى تكشف عن ظاهر الجمال في خلق الإنسان، وهي تتمثل في التسوية، والتعديل، والتقويم المختلفة تماما عن الخلقة للحيوانات، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾[سورة الإنفطار: ٦-٨]، فالآية فيها تقريع لمن أعماه كفره عن تلمس مواضع الجمال في خلقته حينما جعله الله معتدلا سوي الخلقة، فكأن الآية توبخه بلسان الحال والمقام، من أن الذي "ركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟"[2]

وتكرر التأكيد على هذا التذكير لاستدلال على جمال الصنعة باستحقاقه للعبادة، عند قوله (ﷻ): ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾[سورة التين: ٤]، مزينا بالعقل، مؤديا للأمر، مهديا بالتمييز، مديد القامة، يتناول مأكوله بيده[3]، ففيها التأكيد للإنسان على أنه م الخلق متناسب الأعضاء منتصب القامة في أجمل صورة من الخلق والتكوين.

ثالثا: النظر في جمال الطبيعة: وهناك آيات تدل ان الله (ﷻ) عدد الألوان والأشكال فيما خلقه في الأرض، ومنها أنواع الجبال وألوانها وأشكالها، فقال (ﷻ):﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧﴾ [سورة فاطر:

(١)تفسير القرطبي (١١٠/١٢).
(٢)المصدر السابق (٢٤٦/١٩).
(٣) السابق نفسه (١١٤/٢٠).

٢٧]، فيخبرنا ربنا عن آيات عظيمة في الأرض دالة على بديع الصنع منه، "ومن ذلك الجبال، وفيها ألوانا متعددة، فيها جدد بيض، أي طرائق بيض، وفيها طرائق صُفر وحمر، وفيها غرابيب سود، أي: شديدة السواد".(١)

رابعا: التفكر في خلق السموات: وفي حديث عن الجمال في السماوات والأرض الدال على تفرده بالخلق البديع، يقول سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ...﴿١٠١﴾﴾[سورة الأنعام: ١٠١]، أي: "أي مبدعهما، فكيف يجوز أن يكون له ولد(٢)، وهذا فيه الدلالة على أنه سبحانه خالقهما ومتقن صنعتهما على غير مثال سبق بأحسن خلق ونظام وبهاء لا تقترح عقول أولى الألباب مثله، وليس له في خلقهما مشارك"، ومعنى هذا تأكيد جوانب الإبداع في أنحاء الكون الكبير. وفي موطن آخر يقدم القرآن صوراً بديعة من جمال الكون، بُرهاناً على البعث، فيقول تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾﴾ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق، ثم جاء التوجيه للفكر إلى ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾﴾ أي من كل نوع من النبات (بهيج) أي حسن يسر الناظرين، وجعل ربنا هذه الأمور المتقنة في الصنع {تَبْصِرَةً} فيها التبصرة للدلالة بها على كمال قدرته، لتوصله إلى أنها تكون ﴿وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾. [سورة ق: ٦-١٠](٣)، وهذا مسلك قرآني دال على إعجازه وبليغ الدعوة فيه أنه سبحانه " لما ذكر حالة المكذبين وما ذمهم به، دعاهم إلى النظر في آياته الافقية كي يعتبروا ويستدلوا بها على ما

(١) تفسير القرطبي (٣٤٣/١٤).
(٢) المصدر السابق (٨٧/٢).
(٣) السابق نفسه (٨/١٧).

جعلت أدلة عليه" فمن أتقن هذه الصنعة العظيمة الجميلة ألا يستحق إفراده بالعبودية والتوحيد؟

وهذه الصور الجمالية في الكون العظيم ترددت في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾[سورة الملك: ٣-٥]، فتكشف لنا الآيات عن عظيم الخلق البديع للسموات وأن الله " جمّل السَّمَاءَ الدُّنْيَا التي يراها الناس وتليهم، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي: النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال، ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، وجمالا، ونورًا وهداية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها"[1].

فتناسق الخلق، والتنائي عن العيب، مظهر أصيل للجمال، وتزيين السماء بالنجوم يجعل الجمال هدفا في الخلق، اشارت إليه الآيات من سورة (ق).

خامسا: النظر في جمال الكساء: ومن جمال الحياة انتقاء أجمل الثياب؛ فيلبسها الإنسان لتستره وتجمله، يقول تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الاعراف: ٢٦]، "فامتن سبحانه عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء كالطعام والشراب والمراكب والمناكح ونحوها، ولباس التقوى ذلك خير من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب

(١) تفسير القرطبي (١٨/٢١٠).

والروح، وأما اللباس الظاهري فغايته أن يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع".(١)

وهكذا تختم هذه الآية بما يؤكد النظرة الإسلامية للجمال، وهي أن الجمال المعنوي والنفسي المائل في الاستمساك بمنهج الدين أولى بالاعتبار، وأجدر بالحرص عليه والأخذ به.

ومع أن المنهج الإسلامي يؤثر الجمال المعنوي، وجمال الحياة الباقية في الآخرة، لكنه يرعى حاجات الإنسان ومطالبه الغالبة في الدنيا، بل يغريه بقضائها إغراء ملحا في إطار الطيب والحلال الذي يزيد الجميل جمالاً؛ وتمون معينا ميسرا لحياة الإنسان حياة كريمة موفقة، فيقول تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ... ٣٢ ﴾ [سورة الاعراف: ٣١-٣٢]، فمع أمره سبحانه بستر العورة في الصلاة، فرضها ونفلها، فإن سترها أيضا زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها، ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر يستر العورة في الصلاة باستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الادناس والانجاس".(٢)

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣٧٦، وراجع تفسير القرطبي (١٨٥/٧).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٧٨، تفسير القرطبي (١٩١/٧)، وناقش الإمام القرطبي ما يتعلق بستر العورة، دلالة منه على أهمية هذا الجانب، وأنه من أسباب الزينة والجمال في المرء عند صلاته.

المبحث الرابع
القرآن والدعوة للسلوكيات الجميلة

إن البيان القرآني يعرض الجمال كعنصر أساسي في بناء الكون، ودعامة من دعامات الدين الحق وشريعته السمحة، والنفس الإنسانية الكاملة بإيمانها الصحيح ترى الجمال صفة جوهرية فيها، تنطلق منها آفاق السمو والكمال البشري، وهذا يدفعنا إلى تذكر ما قاله القرآن الكريم في مجال الجمال المعنوي، حيث جاء الجمال المعنوي في القرآن الكريم مقروناً بأنماط شتى من السلوك البشري، وقد تعجب لبعضها ما لها وللجمال حتى تقترن به؟! إنها من ألوان السلوك غير المستحب، ومن أنواع الحلال البغيض عند الله الذي شرعه ليتيسر للحياة أسباب الجمال!

أولا: اقتران الجمال بالصبر.

من أروع القيم التي تزين جميل التعامل تعلقهم بقيمة الصبر، ولذا نلحظ اقتران الجمال بالصبر، واقتران الجمال بالصفح، واقتران الجمال عند تسريح المرأة من عصمة الزوجية، واقترانه بالهجر، إذ الصبر يعتبر من أعظم الصفات التي تزداد بها النفس جمالاً وكمالاً وارتباطا مع الناس، والصبر الجميل هو الذي تزداد النفس فيه باليقين والثقة، وتمتلي بالأمل، ويغمرها بالرجاء في الله، وتكون بمنأى عن الجزع والسخط على القضاء، وجاء الحديث عن الصبر الجميل في موضعين، كلاهما في سورة يوسف:

أولهما: ما ورد على لسان يعقوب (عليه السلام)، وقد جاءه أبناؤه يخبرونه بأن يوسف أكله الذئب، وبرهنوا على قولهم بدم كذب على قميصه، وبالرغم الفاجعة الرهيبة على قلب الأب المؤمن واجه الأمر باناه بالغة، وثقة عظيمة جعلته يحس أن الامر على غير ما صور أبناؤه، وتذرع بالصبر الجميل، يقول تعالى

على لسانه: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [سورة يوسف: ١٨]، فكأن لسان حاله نطق بألم: إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيَّ مَا يُوجِبُ حُسْنَ ظَنِّي بِهِ."[١]، وصبره كان بلا شكوى معه على أقدار الله.

وثانيهما: وأيضا ورد على لسان يعقوب، عندما جاءه نبأ احتجاز ابنه الثاني في سجن العزيز بمصر، وبرغم تتابع المحنة، وعمقها في وجدان الشيخ الرسول، لكن ما يزال للصبر الجميل الغلبة على مشاعره، فقال: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾[سورة يوسف: ٨٣]، فتوجه إلى ربه الكريم، وقال بلسان الحال: "ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق"، وَفيه الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ لِمُجْرِيهِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ".[٢]

ثانيا: اقتران الجمال بقيمة الصفح.

ويقترن الجمال بالصفح، وهو من أسمى الصفات، إذ هو يعني التغاضي عن إساءات الآخرين، وقد طلبه الله تعالى من نبيه في مواجهة المعرضين المكذبين من قومه، مبيناً له أنه صاحب رسالة مهمتها الهداية، وعقاب الضالين مرجعه لرب العالمين، والساعة آتية لا ريب فيها، فقال تعالى: ﴿...فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [سورة الحجر: ٨٥]، "وجمال هذا الصفح يتحقق حين لا تصاحبه

(١) تفسير القرطبي (٩/٢٥١).
(٢) تفسير القرطبي (٩/٢٤٧).

أية أذية فيه، بل يقابل العفو الحسن[1]، والصفح في حد ذاته جميل، وعندما يتصف بالجمال يكون صفحا لوجه الله، لا يجعله صاحبه حديثا يُذكر به بين الناس.

ثالثا: اقتران الجمال بالهجر والطلاق.

قد يقول قائل: إن الجمال في الصبر والصفح قد يكون مألوفاً، لكن ماذا نقول في جمال الهجر وجمال السرح، وهما لونان من المقاطعة؟! إن القرآن الكريم يعطينا جميعا بعداً جديدا للسلوك الإنساني، بأن الجمال مطلوب ومرغوب حتى في السلوك الذي لا يخلو من ألم ومعاناة فيه.

أولا: الهجر الجميل: لقد أساء المشركون إلى الرسول الكريم (ﷺ)، وأمر الله في معاملهم بالهجر مع الصبر، والهجر قد يتنافى مع مهمة الداعية، ولكن الهجر الذي أمر الله به نبيه الهجر الجميل الذي يشهر المهجور بسوء تصرفه، وضلال سعيه مع استبقاء البر به والود له، فقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾[سورة المزمل: ١٠]، فمع الصبر على الأذى من الجاهلين المعاندين، ولكن ألحقت الدعوة له بالتذكير أن يهجرهم هجرا كريما، "وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وهذا كله قبل فرض القتال ضد الكفار".[2]

ثانيا: التسريح الجميل: ومن جانب آخر مما يتعلق بالهجر وقطع العلاقة بين طرفين ما يتعلق بشأن الطلاق، ومن ذلك سراح المرأة: أن يكون في حل من

---

(١) تفسير القرطبي (٥٤/١٠)، قال القرطبي: أي تجاوز عنهم يا محمد، وأعفو عَفْوًا حَسَنًا، ثُمَّ نُسِخَ بِالسَّيْفِ. قَالَ قَتَادَةُ: نَسَخَهُ قَوْلُهُ: {**فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**}.

(٢) تفسير القرطبي (٤٥/١٩).

رابطة الزوجية، فهو الطلاق، وهو أبغض الحلال إلى الله، لكنه مع وقعه الأليم على النفس عندما يقترن بالجمال نحصل على ثمراته، وننأى عن سوءاته، ويجمل السراح عندما تفارق المرأة بيت الزوجية من غير غبن، أو قهر، أو انتقاص للحقوق، بعيداً عن البغي والعدوان، وذكر السراح الجميل مرتين في محكم التنزيل، وكلتاهما في سورة الأحزاب:

أولهما: في تخيير النبي لزوجاته عندما سألنه التوسعة في النفقة، فأوصى رب العالمين نبيه (ﷺ) أن يقول لهن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨]، ورد في هذه القضية التي خيرهن الله تعالى بين زينة الحياة والدنيا والطلاق، أو البقاء مع النبي (ﷺ) على حال الفقر وقلة ذات اليد، فأمره الله أن يقول لهن: ﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ شيئا مما عندي، من الدنيا ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ﴾ أي: أن يكون طلاقا للسنة من غير ضرار ولا منع واجب لها [1]،وهذه المفا رقة تتحقق من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي".[2]

وثانيهما: مطالبة الأزواج الذين يطلقون الزوجات قبل الدخول، بأن يمتعوا الزوجات، والمتعة كسوة ملائمة لمكانة المرأة ومستواها الاجتماعي، ثم السراح الجميل دون بغي على الحقوق، وتعقب منهم لهن بالإساءة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾ [سورة الأحزاب: ٤٩]، هو

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/١٧٠).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٩٢٧.

الطلاق تتبعه عشرة حسنة وكلمة طيبة دون مشادة ولا أذى[١].فأمر الله تعالى من بعد رعاية حال المطلقة قبل الدخول بما يناسبها من مال الذي يكون فيه جبر لخواطرهن، لأجل فراقهن، أن تكون المفارقة لهن مفارقة فيها الفراق الجميل، من غير مخاصمة، ولا مشاتمة، ولا مطالبة، ولا غير ذلك، وجاء التذكير أن يكون الفراق جميلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر. ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك، من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما بالآخر، شيء كثير".[٢]

(١) تفسير ابن عطية (٣٩٠/٤).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٩٣٥.

المبحث الخامس
الاهتمام بالجمال في الجنة في القرآن

الجنة ليست اسما لمجرد الأشجار والفواكه، والطعام والشراب، والحور العين، والأنهار والقصور، وأكثر الناس يغلطون في مسمى الجنة، فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل، والحديث عن الجمال في الجنة في القرآن الكريم يعطي مقاييس ثابتة راشدة للجمال المادي، كما يعطي أبعاداً للجمال المعنوي، بحيث يتحراه الإنسان في إقباله وإعراضه، في حبه وكراهيته، في ثوابته وعقابه، في محنه ومنعه، وتظهر بلاغة وروعة القرآن الكريم بتنوع الإشارات إلى جمال الجنة فيه إعجاز باهر إلى تشوق النفس لنيل هذا المحل المبارك، حيث نلاحظ أنه تم لفت الفكر إلى الجمال بذكر آثاره لبلوغ الشيء إلى فهم ومشاعر المتلقي وفق إحساسه، وهذا النعيم تنوع في مشاهد وعطايا ربانية كثيرة ومن أمثلة ذلك:

أولا: جمال رؤية الله تعالى.

من أعظم نعيم الجنة التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه، ودل الكتاب والسنة على أن المؤمنين يرون ربهم (ﷻ) في الجنة، وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل الهدى، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، قال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط دل على أن أولياءه يرونه في الرضى[1]، وقال (ﷻ): ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ...۝٢٦﴾[يونس: ٢٦]، فالحسنى: هي

(١) البغوي، معالم التنزيل، (٥/٢٢٥).

الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم[1]، كما قال النبي (ﷺ): (إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، يقول الله (ﷻ): تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟ قال النبي (ﷺ): (فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم (ﷻ))، ثم تلا رسول الله (ﷺ) هذه الآية: ﴿* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ...﴿٢٦﴾﴾[2].

قال ابن القيم: "كمال اللذة والفرح والسرور، ونعيم القلب وابتهاج الروح، تابع لأمرين :أحدهما: كمال المحبوب في نفسه وجماله، وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه والأمر الثاني: كمال محبته، واستفراغ الوسع في حبه، وإيثار قربه والوصول إليه على كل شيء.

وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته، فكلما كانت المحبة أقوى، كانت لذة المحب أكمل، إذا عرف هذا، فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها: هو النظر إلى وجه الرب (ﷻ) وسماع كلامه منه، والقرب منه، كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية: «فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه)[3]، وفي حديث آخر: «إنه إذا تجلى لهم ورأوه؛ نسوا ما هم فيه من النعيم»، وفي النسائي ومسند الإمام أحمد عن عمار بن ياسر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) في دعائه: (وأسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك)[4].[5]

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة يونس.

(٢) رواه مسلم، ١- كتاب الإيمان،٨٠ - بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ (ﷻ)، الرقم (٢٩٧).

(٣) رواه الترمذي في سننه، بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ (ﷻ)، الرقم (٢٥٥٢)، (٦٨٧/٤)

(٤) رواه النسائي، الرقم (١٣٠٥)، ومسند أحمد (١٨٣٢٥)، وكتاب الدعاء للطبراني، بَابُ الْقَوْلِ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، الرقم: (٦٢٤)، (١٩٩/١).

(٥) ابن القيم، كتاب: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٢٣١/١).

وعند قول اللهُ تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾(لتوبة: ٧٢)، ولعل روعة وجمال الرضوان من الله يفوق ما في الجنة من نعيم فتم التأكيد عليه، تحت قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ﴾ مِمَّا هم فيه مِنَ النَّعيمِ؛ فإنَّ نَعيمَهم لَم يَطِبْ إلَّا برُؤيةِ رَبِّهم ورِضوانِه عليهم، ولِأنَّه الغايةُ الَّتي أَمَّها العابدُونَ، والنِّهايةُ الَّتي سَعى نَحوَها المُحِبُّونَ، فرِضَا رَبِّ الأرضِ والسَّمواتِ أكبَرُ مِن نَعيمِ الجَنَّاتِ".(١)

ثانيا: جمال الأنهار:

ومن التمتع الجميل في الجنة وجود الأنهار التي هي مادة الشراب، والتي ذكر الله عن شيء من جمالها في الكتاب العزيز ولذة التناول منها، فقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ..﴿١٥﴾﴾ [سورة محمد: ١٥] فقرر الإمام القرطبي ابتداء أن ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول، ثم أوضح عن حال الأنهار التي من لبن لم يتغير طعمه "أي لم يحمض بطول المقام كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة"، وأنهار من خمر لذة للشاربين" أي لم تدنسها الأرجل ولم ترنقها الأيدي كخمر الدنيا، فهي لذيذة الطعم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون. وأنهار من عسل مصفى "العسل ما يسيل من لعاب النحل." مصفى" أي من الشمع والقذى، خلقه الله كذلك لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل.(٢)

---

(١) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٣٤٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢٣٧/١٦).

والمؤمن ينظر بعين الشوق والبصيرة إلى أن النعيم: "الذي أعده الله لعباده الذين اتقوا سخطه واتبعوا رضوانه أي نعتها وصفتها الجميلة، أما عن الأنهار فهي غير متغيرة لا بوخم ولا بريح منتنة ولا بمرارة ولا بكدورة، بل هذا الماء اعذب المياه واصفاها واطيبها ريحا وألذها شربا، كما لها لبنها الذي لم يتغير بحموضة ولا غيرها، أي يتلذذ بها لذة عظيمة، لا كخمر الدينا التي يكره مذاقها وتصدع الرأس منها وتغول العقل، أما عن جمال عسلها فإنه مصفى من سائر الأوساخ، ولهم فيها من النخيل والعنب والتفاح والرمان وغير ذلك مما لا نظير له في الدينا".(١)

ثالثا: جمال الراحة والاسترخاء:

في آيات أخرى جاء التشويق إلى ما في الجنة من نعيم بذكر جمال النعيم الذي فيها، لتشتاق النفس رغبة ومبادرة إلى كل ما يجعلهم من الفائزين فيها، قوله (ﷻ): ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان: ١٢-١٤] ومن يتوهم أنهم قد تنغص صفو راحتهم حرارة شمس، أو هواء غير عليل، فجاء البيان أنه لا يكدر جمال تمتعهم في ترفقهم على الأرائك أنهم ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿شَمْسًا﴾ لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ولا بردا مفرطا(٢)، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد.

ونلحظ عند قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ﴾ كمال الراحة، وانعدام التنغيص، دلالة على جمال الحياة وكمال السعادة فيها، والاتكاء هو التمكن من

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ١١٠٨.
(٢) تفسير القرطبي (١٣٧/١٩).

الجلوس، في حال والطمأنينة والراحة والرفاهية، والأرائك هي: السرر التي عليها اللباس المزين.

رابعا: جمال الآنية:

مع تمتع المؤمن في الجنة بجمالها المتنوع، جاء التنصيص على ما يتعلق بآنية الشرب والطعام، وجمالها الفريد، فقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾، وذكر القرطبي قول ابن عباس: ليس في الدنيا شي مما في الجنة إلا الأسماء، أي ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى.(١)

وفي موضع آخر جاء التبيان للجمال الذي يناله أهل الإيمان، فقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧١]، حيث جاء التبيان للجمال الظاهري الذي تلتذ به النفس باطنيا، فتم الابتداء بما يتعلق براحة النفس من عناء الخدمة، حيث "تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بإطعامهم بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف ذهب، وشرابهم بألطف الاواني، وهي الاكواب التي لا عري لها وهي من أصفى الاواني من فضة أعظم من صفاء القوارير، وهذا اللفظ جامع يأتي على كل نعيم وفرح وقرة عين وسرور قلب فكل ما تشتهيه النفوس من مطاعم ومشارب، وملابس ومناكح، وماء تلذة العيون من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مؤنقة، ومباني مزخرفة، فإنه حاصل فيها معد لأهلها على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال الله تعالى وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، والخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته وعدم انقطاعه".(٢)

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/١٤٠).

(٢) المصدر السابق (٢٠/٣٢).

خامسا: جمال الزينة واللباس:

وردت الآيات اكثيرة الدالة على جمال التنعم بزينة اللباس في الجنة، ومن ذلك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ... ۝٢١﴾ [سورة الإنسان: ١٠-٢٢]، فأهل الإيمان جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الحرير والإستبرق: ما رق منه. ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولا.

سادسا: جمال المطعومات:

ثم جاء البيان لجمال لما يتناولونه من مطعومات، فأكرمهم ربهم بحسن التمتع بجمال التلذذ بقطف الثمار، أنها ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريبا ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع، ومن جمال المعيشة وجود من يخدمهم بما يشتهون، فوهبهم ربهم.

وورد التأكيد من الله على دوام التمتع بمطعومات الجنة، والتلذذ بشرابها، فقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ (المرسلات: ٤١-٤٣) ونلاحظ أن الوصف بالمتقين أي المتجنبين للتكذيب، المتصفين بجمال التصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات، لهم الجمال بالتنعم في الآخر في ﴿ظِلَالٍ﴾ من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية، وهناك ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية من السلسبيل، والرحيق وغيرهما، ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: من خيار الفواكه وطيبها، ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ من المآكل الشهية، والأشربة اللذيذة ﴿هَنِيئًا﴾ أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى

يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل"[1].

وورد في موضع آخر تشويق النفس إلى جمال المطعومات في الجنة، فقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾ (الواقعة: ٢٠)، لِطِيبِها مَنظَرًا وطيبِها مَشَمًّا وطِيبِها مأكلًا، هذه الفاكهة طيبةٌ في منظرها، طيبةٌ في رائحتها، طيبةٌ في مأكلها ومذاقها؛ لأن الله قال: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ وكون الإنسان يعاف الشيء إما لقبح منظره، أو لقبح رائحته، أو لقبح مأكله، لكن الفاكهة في الجنة غير ذلك تماما، طيِّبةٌ في لونها وحجمها وريحها ومذاقها، ومن عجائب جمال فاكهة الجنة، أن أهل الجنة يُؤتَونَ بها متشابهة؛ متشابهة في اللون والحجم والرائحة، لكن في المذاق مختلفة، وهذا مما يزيد الإنسان فرحا وسرورا، وإيمانا بقدرة الله (ﷻ).

سابعا: جمال الشراب:

مع جمال المطعومات وحلها جميعها لهم، ناسب المقام لما يشارك الطعام في التلذذ وهو تشويق النفس إلى المشروبات، لبيان ما تتلذذ به النفوس ليكمل جمال التناول بها، فقال سبحانه: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأْسًا﴾ وهو الإناء المملوء من خمر ورحيق، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي: خلطها ﴿زَنجَبِيلًا﴾ ليطيب طعمه وريحه. ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

من الشراب الذي يتفضل اللهُ تعالى به على أهل الجنة الخمر، قال اللهُ تعالى: ﴿... وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ... ۝١٥﴾ (محمد: ١٥)، وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾

(١) تفسير القرطبي (١٦٧/١٩).

(الصافات: ٤٥-٤٧)، وقال الله (ﷻ): ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ (الواقعة: ١٧-١٩).

ثامنا: جمال الخدم:

وبعد تشويق النفوس باطنا وظاهرا إلى جمال ما في الجنة من إنعام عليهم، ناسب المقام ذكر من هم الساعون على خدمتهم، إذ من تمام هناء المرء وسعادته أن يكون ما حوله كله متعلق بالجمال، حتى لا يأتيه التنغص والكدر مما تقع عليه عينه، فقال ربنا: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم. ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ منتشرين في خدمتهم ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ من حسنهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وهذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون، وتطلبه نفوسهم.

وورد في موضع آخر، قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾، وجاء الذكر بصيغة المجهول، لتتشوق النفس إلى معرفة من هم الساعون على راحة أهل الجنة، وبما يقدمونه من ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا..۝١٦﴾ أي: مادتها من فضة، وهي على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة، من صفاء جوهرها، وطيب معدنها، على صفاء القوارير

تاسعا: عدم انقطاع التمتع بجمال الجنة.

ولن ينقطع جميل ما منحه ربنا الكريم الوهاب لأوليائه في دار السعادة، بل زادهم من فضله، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: رمقت ما أهل الجنة عليهم من النعيم

الكامل ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس. وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك ومعظمه، الفوز برضا الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه.

وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى وقذى. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الجزاء الجزيل والعطاء الجميل ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ على ما أسلفتموه من الأعمال المباركة، والطاعات الخالصة لله، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ أي: القليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره".(١)

وبهذا الأسلوب البديع من الله سبحانه زين الله قلوب المسلمين وشرح صدورهم بالقرآن، وأثرت جمالياته على سير حياتهم، وسعيهم لتحقيق رضا مولاهم، فأصبح تعاملهم تزينه تلك الجماليات.

---

(١) تفسير القرطبي (٣٢٥/٨)، وانظر تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ١٢٧١-١٢٧٢.

المبحث السادس
أثر جماليات القرآن على حياة الرسول (ﷺ)

بالنظر الى حياة النبي (ﷺ) نجدها تحتوي على أساليب جمالية رائعة سطرها هذا النبي الكريم في كل مناحي حياته العملية والنظرية، فلو فتشنا في سيرته قبل مبعثه حتى مماته لوجدنا فيها أسلوبا عجيبا في تعامله مع من حوله من رجال ونساء وأطفال، وحتى في سلمه وحربه، فكان بكل بحق مثالا للجمال الذي أودعه الله في خلق هذا الإنسان المميز في كل حياته، حيث يقول محمد هيكل عن حياة الرسول (ﷺ): "بلغت هذه الحياة الإنسانية من السمو ومن القوة ما لم تبلغه حياة غيرها، وبلغت هذا السمو في نواحي الحياة جميعا. وما بالك بحياة إنسانية اتصلت بحياة الكون من أزله إلى أبده، واتصلت بخالق الكون بفضل منه ومغفرة! ولولا هذا الاتصال، ولولا صدق محمد في تبليغ رسالة ربه، لرأينا الحياة على كر الدهور تنفي مما قال شيئاً".(١)

وسنقوم بطرح بعض الأمثلة التي تظهر هذا الأسلوب المميز عند الرسول الكريم (ﷺ)، ابتداء في النظر لصفاته الجسمية، فقد وصفته أم معبد بوصف حارت أفهام البلغاء عن بلوغ شيء منه لصدقها وعفويتها بما رأته منه (ﷺ)، وهو وصف يليق به حيث، فقالت فيه: (ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فضل، لا نزر، ولا هذر، كان منطقه خرزات نظمن يتتحدرن، ربعة، لا تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنظر

(١) محمد حسين هيكل، كتاب حياة محمد، الطبعة الثالثة، دار الكتب مصر.

الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، وله رفقاء يحفون به، إذا قال استموا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند).[١]

فقد استطاعت هذه المرأة بأسلوبها الرائع في وصفه فهي لم تتعد عن قول عائشة (رضي الله عنها) عند وصف الرسول (ﷺ) عندما سئلت عن خُلق الرسول (ﷺ) فأجابت بجواب بليغ موجز: (كان خلقه القرآن).[٢]

وخير مما سبق من قول، نتذكر قول الله (ﷻ) في نبيه الكريم (ﷺ): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم: ٤]، وساق القرطبي رحمه مواضع الجمال في خلق النبي (ﷺ) بما قرره العلماء، ومن ذلك، أن في النبي أدب القرآن، وقال بعضهم هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم، وقيل أي إنك على طبع كريم.[٣]

ويقول الله (ﷻ) مادحا جمال أخلاق نبيه (ﷺ): ﴿...وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ...۝١٥٩﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]" حيث يظهر سبحانه امتنانه على نبيه الكريم (ﷺ)، بتأديبه بالجمال في خلقه (ﷺ) وهو إنما هو برحمة الله له ولأصحابه، من الله عليه أن لان لهم جانبه، وخفض لهم جناحه، وترقق عليهم، وحسن لهم خلقه، فاجتمعوا عليه وأحبوه لجمال أخلاقه، لأن الغلظة تجعلهم ينفرون ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق، وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة".[٤]

---

(١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، وزارة الاوقاف – قطر، ٢٠٠٧م، ص ٤٧٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده، الرقم (٢٤٦٠١).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٧/١٨).

(٤) المصدر السابق (٢٤٨/٤).

وفي موضع آخر يثني سبحانه على جميل أخلاقه (ﷺ)، فيقول الله (ﷻ): ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[سورة التوبة: ١٢٨]، فيخبرنا سبحانه أنه " امتن على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن القياد له وهو (ﷺ) في غاية النصح لهم والسعي في مصالحهم".(١)

ولو نظرنا إلى واقع جمال أخلاقه (ﷺ) في جانب التعامل، فسنجد الجمال الرائع في كمال التعامل وجمالياته في جميع مناحي الحياة وشؤونها، ومثال ذلك عند تعامله مع أصحابه، فسنرى القيمة الجمالية في ضرب أروع الأمثلة في ذلك، حيث كانت محبة النبي لأصحابه عظيمة، قال جرير بن عبد الله (ﷺ): "ما حجبني رسول الله (ﷺ) منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي".(٢)

ويقول أنس بن مالك (ﷺ) في جمال التواضع من النبي (ﷺ): "كان إذا لقيَهُ أحدٌ مِنْ أصحابِهِ فقام معه، قام معه فلم ينصرِفْ حتى يكونَ الرجُلُ هو الذي ينصرِفُ عنه، وإذا لقِيَهُ أحدٌ من أصحابِهِ فتناول يَدَهُ ناولَهُ إيَّاها، فَلَمْ ينزِعْ يَدَهُ منه حتى يكونَ الرَّجُلُ هوَ الذي ينزِعُ يدَهُ منه، وَإذا لقِيَ أحدًا مِنْ أصحابِهِ فتناول أُذُنَهُ، ناولَهُ إيَّاها، ثُمَّ لم ينزِعْها حتى يكونَ الرَّجُلُ هو الذي ينزِعُها عنه).(٣)

وفاضت جمالياته (ﷺ) فشملت تعامله مع زوجاته، التي ظهرت فيها جماليات الرجل التي تتمناه كل النساء في حياتهم، ومن أجمل صوره إظهار الحب

---

(١) تفسير القرطبي (٣٠١/٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: بَابُ ذِكْرِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ (ﷺ)، الرقم: (٣٨٢٢).

(٣) أخرجه الألباني في مشكاة المصابيح، الرقم (٥٨٢٤).

المودع في مكنون القلب بكل وضوح وبلا خجل، فقال الرسول (ﷺ) وهو يظهر حبه لعائشة (رضي الله عنها) في حديث أم زرع الطويل الذي رواه البخاري: "كنت لأبي زرع لأم زرع". أي أنا لكِ كأبي زرع في الوفاء والمحبة، فعقبت عائشة (رضي الله عنها) عليه بسرعة بقولها: "بأبي أنت وأمي، لأنت خيرا لي من أبي زرع لأم زرع".(١)

ومن جماليات تعايشه (ﷺ) وحسن رعايته لزوجاته أنه كان يستشير زوجاته في أدق الأمور، حتى ما يكون لحال الصحابة (رضي الله عنهم)، ويخبرهن بما يشغل نفسه، ومن ذلك استشارته لأم سلمه في صلح الحديبية عندما أمر أصحابه بنحر الهدي وحلق الرأس فلم يفعلوا، لأنه شق عليهم أن يرجعوا ولم يدخلوا مكة لأداء العمرة، فدخل مهموما حزينا على أم سلمة (رضي الله عنها) في خيمتها، فما كان منها إلا أن جاءت بالرأي الصائب الحصيف، فقالت له: "اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا منهمْ كَلِمَةً، حتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ".(٢)

حتى في حروبه مع الأعداء (ﷺ) وارسال الجيوش لم يتغير أسلوبه الجمالي، فنثر عبق الجمال الأخلاقي في وصاياه لأصحابه حتى في أحلك المواقف مع الأعداء، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا بعث جيوشه قال: (اخرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع).(٣)

---

(١) رواه البخاري، كتاب: النكاح، بَابُ حُسْنِ المُعَاشَرَةِ مَعَ الأَهْلِ، الرقم (٥١٨٩).
(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، الرقم: ٢٧٣١.
(٣) رواه أحمد في المسند، الرقم (٢٧٢٨).

المبحث السابع
أثر جماليات القرآن على المسلمين

تغيرت أحوال العرب في الجزيرة العربية بعد أن كانوا بدوا رحلا يبحثون عن الكلأ والماء، ويتقاتلون بينهم، ولا يأمن بعضهم بعضا، ولا يعرفون إلا حياة الحروب والنزاعات مع المراعي، ويغير بعضهم على بعض، مع ضياع العقل الرشيد بعدم كف النفس عن فعل المنكرات والفواحش، والطامة الكبرى ضياع جمال التفكير حينما توجهوا إلى عبادة الأصنام واعتقادهم بأنها تقربهم الى الله زلفا.

تداركهم الله سبحانه بلطفه ورحمته، وأنزل عليهم القرآن على رجل يعرفون جمال أخلاقه قبل البعثة النبوية، فشرح الله صدورهم للإسلام، وتزينوا بزينة الإيمان، وأصبحوا يفتحون الأمصار وينشرون زينة الله التي جملت قلوبهم وأصبحوا بعدها إخوانا يتراحمون بينهم ويرفع بعضهم بعضا، وينشرون الرحمة وجمال الحياة لمن حولهم من الخلق، وكل هذا بسبب تمسكهم بالقرآن الكريم، وما حواه من دعوات مباركة للتعلق بالجمال، ومن صور ذلك:

أولا: الدعوة الشرعية للجمال.

يقول يادكار الشهرزوري: "عن جماليات السرد القرآني والغور في بنائه العميق ومستوياته الأدائية الراقية وابعاده النصية ولما وراء النصية مع ابعاد احتفائه بالمتلقي الإنسان وإظهار دوره وتركه مساحات كبيرة امامه للاستجابة والحوار والبحث والتواصل وربط المعطيات بالواقع المعيش".(١)

(١) يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠م.

تغيرت معيشتهم وتزينت قلوبهم وزينوا معيشتهم وجملوها بزينة القرآن، فبعد أن كانوا يرتحلون استقروا، واستقرت أنفسهم وعرفوا قيمة تألفهم، فاهتموا بتزيين حياتهم وآخرتهم بطاعة الله ورسوله، فكانت غاية ما يتمنوه الوصول الى جنة الخلد التي وصفها الله سبحانه في كتابه بوصف يفوق الخيال. فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد، وأن دنياهم مزرعة لآخرتهم، فأخذوا يحصون في دنياهم ما زرعوا لأخرتهم فاهتموا بدنياهم اهتمام المفارق ليترك أثره الى الأجيال التي بعده، ويقول الله (ﷻ) في سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٤]، "وخص سبحانه هذه الأمور المذكورة بالتنبيه لأنها أعظم شهوات الدنيا، وغيرها تبعا لها".(١)

وجاء التأكيد على بعض منها عند قوله (ﷻ):﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٦]، "ولهذا أخبر تعالى أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، أي ليس وراء ذلك شيء، اعقب ذلك التنبيه بأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره في الآخرة الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة".(٢)

وعرف أهل الإيمان أن زينة الله في الأرض، وما جعل فيها من جمال، هي لهم ليأخذوا منها ويستعينوا بها على حياة ترتقي إلى مصاف الأمم، مع حرصهم على طاعة الله، فبحثوا وتنقلوا في ملكوت السماوات والأرض وتمتعوا بزينتها،

---

(١) تفسير القرطبي (٢٨/٤).

(٢) المصدر السابق (٤١٣/١٠).

واستعانوا بالعلم، فأصبحوا سادة الأمم، يرتقون في الافاق وينشروا علمهم إلى جميع الناس، ولم يبخلوا عن وضع مخترعاتهم بين يدي كل محتاج، وهناك من ظلمهم بعد أن اخترعوا أعظم الاختراعات فنسبها لنفسه مثل حال الغرب.

ثانيا: القرآن والدعوة لتأمل الجمال:

نجد أن القرآن دائما يوجه النظر للحرص على التجمل والزينة في حياة المسلمين، من خلال حسن اتباعهم لكتاب ربهم والنظر إلى ما فيه من دعوات للجماليات التي جملت حياتهم وحياة الاخرين في جوانب شتى، ومن صور الجمال في حياة والمسلمين وغيرهم، ما يتعلق باللباس وحسن التجمل فيه، قال (ﷻ): ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[سورة الاعراف: ٣١] وجاءت هذه الآيات لتبين المقصد الرئيس في قضية التجمل باللباس، وهو ستر العورات عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما ان كشفها يدع البدن قبيحا مشوها، ويحتمل ان المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الامر بستر العورة في الصلاة وباستعمال التجميل ونظافة السترة من الادناس والانجاس".(١) وهذا الجمال الظاهري له علاقة وثيقة بالجمال الباطني في حال أداء العبادات، وسمو النفس فيها بين يدي الله تعالى، فيقول عمر الانصاري: "وهذا يؤكد النظرة الإسلامية للجمال التي تؤثر الجمال المعنوي وجمال الحياة الباقية مع مراعاة حاجات الإنسان ومطالبة الغالبة في الدنيا، بل يغريه بقضائها إغراء ملحا في إطار الطيب والحلال الذي يزيد الجميل جمالاً".

وزين المسلمون أماكن عبادتهم وعمروها بالصلاة فيها وزينوا كتاب ربهم بأجمل الصور وخطوا حروفه بأرقى ما خط الخطاطون، فظهرت أنواع

(١) تفسير القرطبي (١٨٩/٧).

الخطوط بأساليب تدل على أصل بيئتهم، وبما يناسب أحوالهم، فظهر الخط الكوفي في الكوفة، والخط الفارسي من فارس، وغيرها من الخطوط، وتعاشقت خطوطهم بأجمل التعاشق مع النبات وسميت بالتوريق النباتي، وحوت الخطوط على تراكيب هندسية بأشكالها حتى جعلت عين الرائي لها تسير بسلاسة ويسر متنقله دون توقف في العمل الفني، ومن شدة تعلقهم بالجمال وتلهف نفسهم إلى الألوان المزهرة الجميلة أنهم ابتكروا أحسن السبل في ري بساتينهم وأراضيهم الزراعية، وبلوا العلم والجهد في أن تكتسي الصحراء باللون الأخضر، بعد أن كانت جرداء قاحلة، تعلوها صفرة اليأس والمرض، فتزينت واخضرت.

ثالثا: الدعوة للجماليات في الأرض:

وفي هذا التشجيع للتعلق بالجمال، ونشر الخير والنظرة الجميلة والحياة المبهجة السعيدة النافعة، يقول الرسول (ﷺ) في حديثه: (إن قامت الساعة وفي يد احدكم فسيله فإن استطاع ان لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها).[1]

وهذا يدل دلالة كبيرة على حرص الرسول (ﷺ) بتجميل البيئة حتى تكون دعوة للرؤية الجمالية للأجيال، وأيضا بما فيها من منافع لهم من شتى الجوانب، بما اتم الله عليهم من نعمة الامن والإيمان، ومن ثم بما فيها من نمو صناعاتهم واستغلال قيمة الزراعة في تلك الصناعات، فتوفرت لهم الجمال والراحة بوجود النسيج لملابسهم، فنمت مراعيهم ومصادرها، وفي هذا يقول وكم الجماليات التي ينبغي على كل عاقل ألا يغفل عن النظر إليها ما جعله الله لنا من أساسيات الحياة وهو وجود السكن، فقال (ﷻ): ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾[سورة النحل: ٨٠]، وهذه الآية

(١) رواه أحمد في المسند، الرقم (٢١٨١).

فيها تعديد نعم الله تعالى على الناس في البيوت، فذكر أولا بيوت المدن وهي التي للإقامة الطويلة، ومن الجمال الحياتي فيها، أن النفس تسكن فيها وتهدأ الجوارح من الحركة، وقد تتحرك فيه وتسكن في غيره، إلا أن القول خرج على الغالب. وعد هذا في جملة النعم، فإنه لو شاء خلق العبد مضطربا أبدا كالأفلاك، لكان ذلك كما خلق وأراد، لو خلقه ساكنا كالأرض لكان كما خلق وأراد، ولكنه أوجده خلقا يتصرف للوجهين، ويختلف حاله بين الحالتين، ورده كيف وأين".(١)

ومن الجماليات التي يجدها الإنسان منتثرة في الأرض ما يتعلق بجمال المزروعات كافة، بمختلف أشكالها، يقول الله (ﷻ): ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ [سورة الرحمن: ١٠-١٢] فمن الجمال الذي يراه الإنسان بين يده وأمام ناظريه ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ وهو الله على ما كانت عليه من الكثافة والاستقرار واختلاف اوصافها وأحوالها ﴿لِلْأَنَامِ﴾، أي للخلق لكي يستقروا عليها، وتكون ميسرة بالانتفاع منها، وتكون لهم مهادا وفراشا يبنون بها، ويحرثون ويغرسون ويحفرون ويسلكون سبلها فجاجا، وينتفعون بمعادنها وجميع ما فيها مما تدعوا اليه حاجتهم، بل ضرورتهم، بما حوته من أصناف المزروعات التي تعين الإنسان في قوام حياته".(٢)

---

(١) تفسير القرطبي (١٥٣/١٠).

(٢) المصدر السابق (١٥٦/١٧).

المراجع والمصادر

١. **ابن القيم**، كتاب: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. الناشر دار المعرفة– المغرب (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).

٢. **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين، د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الأزهري، محمد بن أحمد، كتاب.

٣. **تهذيب اللغة**، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٤. **ابن منظور**، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٥. **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري، وزارة الاوقاف – قطر، ٢٠٠٧م.

٦. **العسكري**، الحسن بن عبد الله، الفروق، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٧. **المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني**، فتحي عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م.

٨. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٩. **أبو حامد الغزالي** – إحياء علوم الدين – دار المعرفة – بيروت.

١٠. **رباب كامل فرحان**، التربية الجمالية رؤية إسلامية، دار النفائس، ط١ الأردن ٢٠٠٨م.

١١. **صالح الشامي** – التربية الجمالية في الإسلام – المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، دمشق.

١٢. **علي الجرجاني** – التعريفات – الدار التونسية، سنة ١٩٧١، تونس.
١٣. **عيد سعيد يونس**، التصوير الجمالي في القرآن. عالم الكتب، ط١ ٢٠٠٦م القاهرة.
١٤. **السعدي**، تيسير الكريم الرحمن، ٦٠٠، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م.
١٥. **مجمع اللغة العربية**، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
١٦. **محمد حسين هيكل**، كتاب حياة محمد، الطبعة الثالثة، دار الكتب مصر.
١٧. **وحيد حروز**، الذوق الجمالي في القرآن الكريم – رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الجزائر – كلية العلوم الإنسانية ٢٠١٢-٢٠١٣م، الجزائر.
١٨. **يادكار لطيف الشهرزوري**، جماليات التلقي في السرد القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠م.

Marajie Albahth

1. **abn alqiam**, kitabi: aljawab alkafi liman sa'al ean aldawa' alshaafi. alnaashir dar almaerifati- almaghrib (1418h - 1997m)

2. **alkhalil bin 'ahmad alfarahidi**, kitab aleayni, d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, alnaashir: dar wamaktabat alhilali, al'azhari, muhamad bin 'ahmad, kitab

3. **tahdhib allughati**, almuhaqaqi: muhamad eawad mureibi, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 2001m,

4. **abn manzuri**, muhamad bin mukram, lisan alearbi, alnaashir: dar sadir - bayrut, altabeatu: althaalithat - 1414 hu

5. **alrahiq almakhtumi**, sifi alrahman almubarikifuri, wizarat alawaqaf - qatru, 2007m

6. **aleaskari**, alhasan bin eabd allah, alfuruqu, haqaqah waealaq ealayhi: muhamad 'iibrahim salim, alnaashir: dar aleilm walthaqafat lilnashr waltawzie, alqahirat - misr

7. **almaeani althaabitat fi al'uslub alqurani**, fathi eamir, munsha'at almaearifi, al'iiskandiriati,1976 m

8. **almuejam alwasiti**, majmae allughat alearabiat bialqahirati, ('iibrahim mustafaa / 'ahmad alzayaat / hamid eabd alqadir / muhamad alnajar), alnaashir: dar aldaewa

9. **'abu hamid alghazali** - ahya' eulum aldiyn - dar almaerifat - bayrut

10. **rbab kamil farhan**, altarbiat aljamaliat ruyat 'iislamiatun, dar alnafayisi, ta1 al'urduni 2008

11. **salih alshaami** - altarbiat aljamaliat fi al'iislam - almaktab al'iislamiu, 1988, dimashq

12. **eali aljirjani** - altaerifat - aldaar altuwnisiatu, sanat 1971, tunis

13. **eid saeid yunus**, altaswir aljamaliu fi alqurani. ealam alkutub, tu1 2006 alqahira

14. **alsaedi**, taysir alkarim alrahman, 600, altabeat althaaniat sanat 2001.

15. **majmae allughat alearabiati**, almuejam alwasiti, maktabat alshuruq alduwliati, misr

16. **muhamad husayn hikili**, kitab hayaat muhamad, altabeat althaalithata, dar alkutub misr

17. **whid huruzi**, aldhawq aljamaliu fi alquran alkarim - risalat majistir ghayr manshurat jamieat aljazayir - kuliyat aleulum al'iinsaniat 2012-2013m, aljazayar.

18. **yadkar latif alshahrazuri**, jamaliaat altalaqiy fi alsard alqurani, dar alzaman liltibaeat walnashr waltawziei, dimashq , 2010m

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البحث باللغة العربية	١٧٨٩
البحث باللغة الإنجليزية	١٧٩٠
المقدمة	١٧٩١
المبحث الأول: تعريفات متعلقة بعنوان البحث	١٧٩٧
المطلب الأول: تعريف مصطلح الجمال	١٧٩٧
أولا: تعريف الجمال لغة	١٧٩٧
ثانيا: تعريف الجمال اصطلاحاً	١٧٩٨
المطلب الثاني: ما يتعلق بتعريف مصطلح الذوق	١٨٠١
أولا: التعريف اللغوي	١٨٠١
ثانيا: الذوق اصطلاحا	١٨٠١
المبحث الثاني: التعريف بالإمام القرطبي (رحمه الله)	١٨٠٣
المطلب الأول: نسَبه ونشأته	١٨٠٣
المطلب الثاني: من أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه	١٨٠٤
المطلب الثالث: رحلاته العلمية	١٨٠٤
المطلب الرابع: من شيوخه	١٨٠٥
المطلب الخامس: آثاره العلمية	١٨٠٦
المطلب السادس: وفاته (رحمه الله)	١٨٠٦
المبحث الثالث: الدعوة للتفكر بجمال المخلوقات	١٨٠٧
المبحث الرابع: القرآن والدعوة للسلوكيات الجميلة	١٨١٢

أولا: اقتران الجمال بالصبر	١٨١٢
ثانيا: اقتران الجمال بقيمة الصفح	١٨١٣
ثالثا: اقتران الجمال بالهجر والطلاق	١٨١٤
المبحث الخامس: الاهتمام بالجمال في الجنة في القرآن	١٨١٧
أولا: جمال وجود الله تعالى	١٨١٧
ثانيا: جمال الأنهار	١٨١٩
ثالثا: جمال الراحة والاسترخاء	١٨٢٠
رابعا: جمال الآنية	١٨٢١
خامسا: جمال الزينة واللباس:	١٨٢٢
سادسا: جمال المطعومات:	١٨٢٢
سابعا: جمال الشراب:	١٨٢٣
ثامنا: جمال الخدم	١٨٢٤
تاسعا: عدم انقطاع التمتع بجمال الجنة	١٨٢٤
المبحث السادس: أثر جماليات القرآن على حياة الرسول (ﷺ)	١٨٢٦
المبحث السابع: أثر جماليات القرآن على المسلمين	١٨٣٠
المصادر والمراجع	١٨٣٥
فهرس الموضوعات	١٨٣٩